بِسْـــــم الله الرّحْــــــمن الرحِـــيم

تَبــاً لكلّ الكليــات العسكــرية في العالم المتحضــر ,
سُــحقاً لِكل أَساتِذَتِــها ,
وَيلاً و ثبوراً لجميع كَوادِرَهــا و طُلابـها ....
أَلا بُعْداً لكــل أصــحاب الأوسمة و النياشين العسكرية " التافــهة , "

فبــعد أن رأَيت جنود دولة العراق الإسْلامية , ازدَرَيْــتُهم جميـــعا ,

علــمت أنّهم مُتَطَفِلين أَغْبيـاء عَلى فنون النـزال ,
أَدركت أن الأكـاديميّة العسكرية الأمريكية في نيويورك و الكلية الملكيّة العسكرية في لندن لا تَصلحا أن تكونـا حَضـــانَـة لأطفال رجـال دولة العراق الإسلامية...

فهناك في بلاد الرافديْن , تمّ افتتــاح أعرق جامــعةٍ فــي عُلـوم القتــال ,
تُقَدّم أرقــى تَعْليم فـــي الفنون العســكرية,
أساتِذَتُــها , أبطالٌ مَيْدانيّين مـن كـوادر الدولة الإسلامية ,
غَرِيبُـون بعض الشّــيء ,

فــهم لا يلبسون البدلة أوالبُستار العسكريّين ...و لا يُرَصّعون صدورهم وأكتافهم بالأَوسِمة و النّياشــين ,
حين تَـرى هؤلاء البُروفُسورات ... بل قل الجِنَرالات ,
لا تُصَـدق أنهم هُمْ من رَكّعَ أقــوى جيشٍ مَـادي فِـي التــاريخ ,

بُســطاء دون سذاجة ,
فـــقَراء دون حـــاجة ,

لا يَلبسون أكثر من مَلابس " البيت "
و أحذية رياضية تَقْليدية مُهترئة على أحسن حال ,

يدمر أحـدهم دبّابة أمريكية بقيمة 3 ملايين دولار و عَلى مَتنـها خمسة جنود و هو يلبس " تي شيرت " أسودا , و بنطلوناً رياضـياً بُنّيا , و " شِبْ شِباً " بلاستيكيّا أخضرا ,

مَلابسٌ ... لا تَصلح حتى لحفلة تَنَـكّريّة ,
مَلابِسٌ... لا تصلح لتذهب بها بين غُرفَتَيْـن في نفس المنزل ,
مَلابسٌ ...لا يبلـغ ثمنها 10 دولارات ...

لكنه يدمر بــها أقوى دَبّـابة في العــالم ,

هكذا يَنْقضون النظريات العســكرية ...

" المـلابس العسْكرية لَيســت جُــزْءاً من العمل العســكري "

و حين يسـأله طفله الصغير و هو ينفـض الغبــار عن ملابـسه : أيـن كنت يا أبي !
يقول له البطل :

" لا شَيْء يا بنيّ , كُنت فقط أصطاد بعض الفئران التي خـرجت من جُحـورها "

يقترب من الدبّـابة و كأَنها دابــة... يريد أن يعلفها ,

هــكذا روّضوا آليات العـدو المُفترسـة !

لا تصـدق أنّ الجنـرال قرّر تدميــرها ,

يتسـلل أَسفلها كأنه " ميـكانيكي دبابات " يريد أن يَتَفَحّصـها , ثم يقرر إرسـالها بمن فيها إلى كراج الخــردة , بعد أن فَشَلت في فحص " المُــواجهة "




يا أيها الجنرال :

وَ الله لو كـنتَ أمريكياً لأقتـلعوا تـمثال الحرّية من جـذوره كضـرس مُسوّس و نصبوا تذكارك مكانه ,

لوَضــعوا صورتك على الدولار مـن فئـَة المِئة ,

لعرضـوا حـذاءك البلاستيكي فِـي مـزاد نيويورك العالمي على أن يكون افتتاح المُـزاودة بعشــرة ملايين دولار ,

لجعلوا يوم ميلادك عطلة وطنّية يذبحون بها الدّيك الرّومي و يلبسون بها ملابسك " العجيبة " ,
لأنتجوا عنك عشرات الأفلام السّينمائية الحربيّة ينال أكثر من نصفها جائزة الأوسكار ,
لتعاقدت معك دار النّشر " Beyond words " الأمريكية الشهيرة لتنشر – حصريّا - مذكراتك حول تلك اللّحظات التاريخية التي اختصرت مفهوم الشجاعة بمشهد مُصَوَّر ,

أما و أنت مسلم ,
من أمة سيّد المرسلين صلى الله عليه و سلم ,
فلن يكافئك قائِدك المجاهد بغير " طَبْطَبْة تَرَضِّي على ظَهرك " و شيك مُؤَجل بقيمة " جزاك الله خيرا " يُصرف يوم يفر المرء من أخيه , و أمه و أبيه و صاحبته و بنيه ...
و بشارة نبوية , و يا لها من بشارة :

" لا يَجتمع كافِرٍ و قاتله في النار أبداً (1) "

يا أيها الجنرال !

أبهذه المَلابس تدَمر حَضارة , و تبني أخرى !

أبهذه السهولة " المُمْتَنِعَة " تُغير مجرى التّاريخ !

أبهذه البَساطة تُفَجر أَعتا وحش آليّ يزحف على وَجه المعمورة ,

لا غرابة !

فهذه جامعة دَولة العراق الإسلامية العسكرية !

تَجد أحدهم قد قَتل بيده أكثر من مِئة علج و مرتد ,
شَارك في أكثر من مئة غزوة ,
خطّط لأكثر من مئة كَمين ,
ثم تجده في المعركة يتقدم الصفوف ,
و يتلقى أول خطوط العدو , بسلاحه , و إن عز فبِصدره ...

الطُلاب النجباء يحاولون منع تقدم قائدهم ..
يَقدون قميصه من خلف :

" تَوقف يا جنرال !
... ارجع يا جنرال "

لكن الجنرال لا يعرف ما معنى التوقّف أو الرجوع , فهذه الكلمات من الأفعال المنسوخة من قاموسه ,

ينظر الجنرال إليهم بكل " عطف و حب , " و نظراته المُفَوّهة تلَقنهم التعليمات في صمتٍ " صاخِب : "

" فِي جـامِعة دولة العراق الإسلامية العسكرية , القــادة يتقـدمون الجنود في المعـارك "

هـكـذا يـُسقطون النظريات العسكرية ....

بعض الجُنـــود يجـد صعوبةً فــي تقبل الـدرس ,

فمـن يقبل لقـائِدِ أَرْكـان أذاق الأَمــريكان الـهوان , أن يكـون في مدى بنادق عبّـاد الصّلبـان !

منْ يقبل لجَـزّار مُـحترفٍ , مُتخصص في تقطيـع اللّحوم الصفراء المستوردة أن يُقتل في إطلاق نـار مُـتبادل ؟

يصرخ الجنود "... يا قــائدنا , نحن نَكْـفِيكـهم , ارجـعْ للـوَراء " !

لكن الجنرال يدرك أنـها هـيَ الطريق... و الطـّريقة ,
و حين تَتَـخَضّب لِحيته بدمــائه الذّكـية ,
و تـرتـخي سبـابته الضاغِطَة على زِنــاد البنـدقية ,
فَقـط ...لتـتَشّهد أخر تـشـهد في الحياة الدنْيـوية ,
حِينـها ... تـكتـمل فُصـول الـدرس ,

و يَقْـرع الجرس إيذانا بانتـهاء المـحاضرة ,

وَ يتـحوّل كل جنـوده إلي جنـرالات يتقدمـون الصفوف ,
كلٌّ منـهم يُعـلّم جيـلا من الطلاب ,
ويـَرحلون ...

الخـط الفاصل بيـن المـوت و الحيـاة عندهم غيرُ واضــح ,
فأَحْيــاءهم أحْياء , و أمواتـهم أحْيـاء ... لكن عنـد ربـهم ,
و رزق كـلاهما يجـري عليه,
مُعْجَمُهُم اللّـغوي مـمـتلئ بالمُتناقضـات ,
لا يَفـهمها إلا النـاطق بـلغتهم ,

يسَمّون العسر يسراً , و الموت نصراً , و الصبر أجراً , و الفشــل عاراً....

أما الهـيئة التدريسيّة في جــامعة العراق الإسلامية العسـكرية !

فيبـقون على رأس عملـهم حتــى بعد رحيــلـهم عن الدنيا !

لذلك ,
تجد هنـاك عندهم بُروفـسورا قديـرا اسمه أبو مصعب الزرقاوي ,

مــازال على رأس عمله حتى بعد رحيـلـه ,
يعلّم الطلاب فنون القتـال و النّـزال من قـبره المجهول ,
يعلمهم كيف يَـعيشوا ....و كيـف يَمــوتوا !
و كيف يصـيروا أساتذةً في مـدرسة الخُـلود
يـعلمــهم كيــف تَصِير الأجسـاد عبئاً على الأرواح , و قيداً ثقيـلا يعيـق حركتها , لا تتـحرر إلا بفِـراقها ,

مـازال أبو مصعب الزرقاوي يتقاضـا أجره على كل درس يقدمـه من سيـرته العطرة ,
يتحصّل عليه فورياً مـن بنك " الصدقة الجارية "
حيث الحسنَة بعشرة أمثـالها ,

الحبــر المستـخدم في التــدريس هو الدم ,
يقــولون :

" هذا الحبـر فريدٌ , فَـهو يمنـح الخُلـود لكـل حَرف يُخَطُّ بــه "

مَشـاريع التـخرج لا تقبـل إلا بــه ,

إذا سـمعتهم يتـحدثون عن تـخريـج دفـعة جـديدة من الجنـود ,

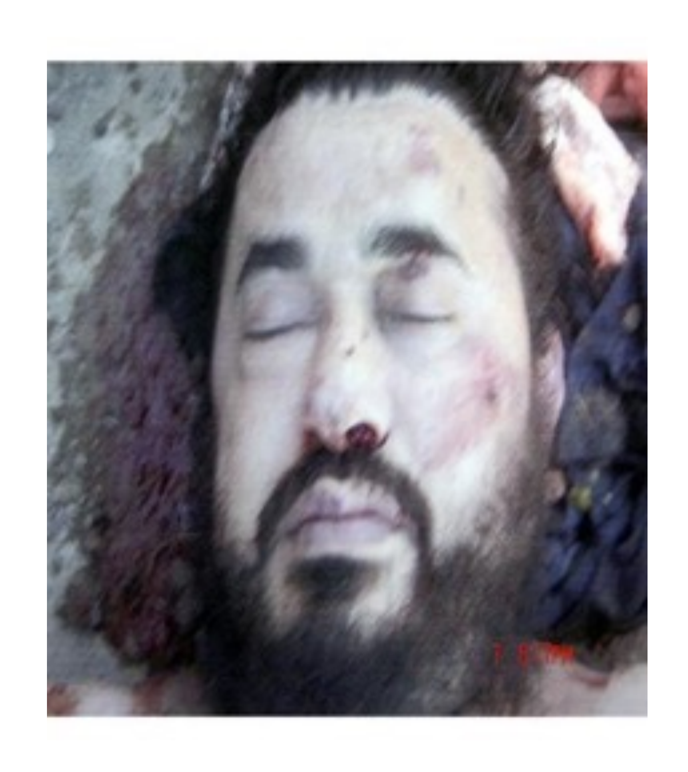
فاعلمْ أنّ ملحمــة ما قد حصلت في أرض العــراق ,

و أن كوكـبة من الشَّــهداء قد ترجـلت ,

لم يحصلوا على شَهادة بكـالوريوس أو مـاجستير أو دكتـوراه ,

بل شـَهَادَةٍ في سـَبيل الله ,

هــِي أعلى الشهادات العســكرية التي تمنـحها جـَامعة العراق الإســلامية العسكرية ,
يُعَلقون سِـيَرهَم في أَلبـوم " تَخَــرُّج , "
يوزعونه على الطّـلاب المسـتجدين ,
و فــي أول صفحة وضعوا سيرةَ المـؤسـس ,
كتبوا تحت اسمه " على دربـك يا أيـها المعلم "



رَقـموا في أول فـقـرة من سيـرتـه :

" إذ إنّ فضــل إِلـــهنا..ليْست تحُيــط به الظــنون...

يارب ..أَلــحِقتنا بمن يجــري لهم دمــع العيون...

ذِكـــراهمُ تـــهني على جـَذب القلـوب كمـا المـُزون

تـُحيي العزيمة والكـرامة في إبـاء لا يهـــون...

فعسى نــسير بــسيرهم...دومـاً كـما كــانوا نـَكون

كـانوا نُجـوما للسّراة لأَنّـهم...مـتـَمَيّزون"

آخِرُ جملةٍ في سيـرتـه تـقول :

" خادم الجهاد و المجاهدين , المعتز بدينه أبو مصعب "......

يَـحْملون مـعـهم كتاب يد أو (Hand Book)
لا يـُفارقهم أبـــدا ,
حتــى أوقــات فراغـهم , يقـضونـهـا بـدراسته و تدبـره ,
إن استعصت عليهم مسألة يقلّـبون صَفَـحاته بحثاً عن الحـــل ,

يرجـعون إليه في كـل صغيرة و كبيرةٍ..
, لو أَضــاع أَحـدهم عِقالَ بعــيره لبحث عنه في ذلك الكتاب (2) !
فـهو مـرجـعهم الأول ...

إنه المُصْحف الشّـريف ...

يَعتبرونه من الدروس الإجبـارية في كليتهم العسكرية ,
إن أَطلـقوا قـذائف هــاون , تـلوا :
" وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى(3) "

إن قام أحدهم بعملية اسْتـشهادية قرءوا :

" نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ (4) "

حتى كأنهم يحاربون بالقـرآن , و يغزون بِالقرآن و ينتصرون بالقـرآن ,

كأنهم قـرآن " يَمْـشي " على الأرض ,

كأنهم قرآن " يحــارب" في الميدان ,

كأنهم قرآن " يُقْرَأ " في المحراب ,

يَحتار بهم أعداؤهم ... لا يـجتمع اثنــان منهم على تَسمية ,

فـمن رآهم و قد تـمردوا على كل نـظام طـاغوتي يقـصي شَرع الله و يُعَبِّد الناس للناس , قال عنهم
" مُتمردين , "
و مــن رآهم و قد زرعوا الرعب في قلوب المحتل و أذنابه , حتى كأن الطير تتخطفهم من
السمــاء , قال عنهم " إرهـابيين , "
و من رآهم و قد وصلوا إلى أقصى نقطة في الشجاعة , تلك النقطة الحدودية الفاصلة بين
الشجاعة و الجنون ... تلك النقـطة من الشــجاعة التــي ما بـعدها إلا الجــنون , قال عنهم "
مَجـانين, "

أما قائـدهم أبي حمزة المهاجر , فللّه دره من صنديد لم تلد النساء مثله ,
لو فَرشا أسنانه لوجدت العَالم بأسره يتساءل عن نوع معجون الأسنان الذي استـخدمه ,
لو تعثرت قدمه بِرِبَاطِ حـذائه... لوجدت الدنيا تتنـاقل الخبر من عنـاوين الصفحات :
" أنباء عن إصـابة المـهاجر" !

كيف لا و هو " أمير تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين , "
كيف لا و هو خليفة " الزرقاوي , "
أنعم به من خير "مُضَــاف " إلى خَير " مُضَــاف إليـه , "
أنعم بـه من خير خلف لخير سـلف ,

بينما يعيش مئات الملايين من رِجَــال الأمّة على هامــش الحـياة , لا يـمـوتون فيها ولا يحيون ,
حياتهم " مَيّتة , " و موتهم " أمـوت , "
ليس لـهم دور في المعركة المستعرة بين الكفر و الإيمان ,
اللّهم إلا أنـهم " غنيمةً للمـنتصر , " يقودهم حيث يشاء مع السبايا و الصبيان و الدواب و المتاع ...

و ما أصدق من قال :
هنـــاك من يمــوت , فتبكي عليه الأُمّة ,
و هنـــاك من يمـوت فلا يبكي عليه إلا أُمُّه ,
و أقول :
بل هنـاك من يموت فلا يبكي عليه حتى أُمّه ,

لله دركم يا أســود دَولـــة العــراق الإسلامية ,
لله دركـــم يا حُمــاة الإســلام ,

و الله إن حبــكم يورث في القلب عزة ما مثلها عزة , و نشـوة ما طاولتها نَشـوة , فجزاكم الله خيرا على كل قطرة عرق أو دم تريقونـها في سبيل الله ,

اَختم مقالتي هذه برجـــاء حار ...
من دَوْلَــة العراق الإسلامية أدام الله ظلها ,
كــم أتمنى أن أعــرف لـقَب أخانا البطل مُفجر الدبــابة ,
آه , لو تصل زَفَراتــي إلى أُسُود دولة العراق الإســلامية , فينبئونا بلقب ذلك الضّرغام ,

أبو .... ؟
أبو ....الأنصاري ,
أبو ....المهاجر ,
أبو ....الشامي ,
أبو ....المقدسي ...
أبو ...الكردي ...
أبو ....الأردني ...
أبو ....المدني ...
أبو ....اللبناني
أبو ...الليبي ..
أبو ...المصري ...
أبو ...البغدادي ...
أبو ...البصري..

أبو ....الفلوجي...
أبو !..........

فلــقد حق لنا أن نسمي ذكورنا باسمه حتى يكبروا رِجَــالا ,
و حق لأبي دجانة الخراساني أن يتسمى بأبي .......

" أَبُو دُجَانة الخراســـاني "

---

(1) رواه مسلم .
(2) ذكرت في رواية عن عبدالله بن عباس , راجع الاتقان في علوم القرآن للسيوطي .
(3) الأنفال 17
(4) الصف 13

